لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

الجزء الثامن عن صفر ١٣٣٠ — شباط ١٩١٢

الحفر والتنقيب في اطلال بابل

تمهيد

اول مايشتاق اليه المتطلل الى معرفة اخبار التاريخ ودقائقه اذا ما القى عصاه في بابل العظمى ، هو الوقوف على مصير قصر بخت نصر الملك (نبو كدر أصر) ذلك القصر الشهير الذي بني في نحو سنة ٦٠٠ قبل ظهور المسيح ، والذي خطت على احد حيطانه انامل قدرة تلك الكلمات الثلاث السرية الغامضة التعبير التي قالت الملك واقعدته ، لا بل اقامت واقعدت جميع اشراف مملكته وكل من ينتمي اليه . فهذا الشرق هو الذي

دفعنا حال قدومنا الى استطلاع مطلع تلك الاطلال لنشاهد ما فيها باعيننا .

تنبيه هام

واول كل شيء يجب علينا حفظه قبل ان نتغلغل في البحث ونستقصي في ذكر التفاصيل المختلفة هو ان نعلم مرة واحدة استغناءً عن التكرار ان ما نطلق عليه اسم « اخربة » هو عبارة عن اسس الابنية القديمة التي ندعوها باسمائها وقد كشفها قبيل بضع سنوات علماء المانيون راسخو القدم في التاريخ وقراءة الآثار العادية وقد اتوا الى هذه الديار حباً بالوقوف على صحيح الاخبار وافادة لابناء وطنهم المشهورين بالحرص على العلوم باختلاف انواع مواضيعها .

فما نورده اذاً ماخوذ عن اوثق المصادر وقد تثقفناه في مواطن التاريخ عينها من افواه الذين اوقفوا قواهم وحياتهم خيراً للعلم تحت شمس وقادة تصهر الادمغة صهراً وتذيبها ذوباً كل ذلك ليعيدوا تاريخ تلك الحاضرة الشهيرة الى نصابه الاول .

اجل ، ان الابنية نفسها التي كانت قائمة على اديم الارض عدمت منذ عهد عهيد ، ليستخرج منها الاجر فاستخرج منها شيء لا يتصوره العاقل لكثرته وبنيت به ابنية ، لبنها لم تبن ولم تكن ، اذ نقلت اولا تلك الانقاض الى سبوقية Sébucie (على ما رواه جلة المورخين) وذلك في عهد خلف اسكندر ذي القرنين ثم الى طيسفون (المعروفة اليوم باسم سلمان پاك وهو سلمان الفارسي وعند الافرنج باسم اكتيسيفون Ctésiphon الراكبة

دجلة ومنها الى بغداد ، اذ وجد الناقبون ولايزال يجدون في بغداد ابنية قد شيدت قواعدها واسسها باجر عليه كتابات وخطوط اشورية اومسمارية مصدرها اومأخذها مدينة بابل الشهيرة ولعل القارئ يستغرب قولنا هذا فنقول له : اذا علمت السبب بطل العجب . ولا تستغرب هذا النقل من مدينة الى مدينة اخرى ، لانك اذا اغرت في العراق وانجدت ، واسهلت واحزنت ، وصعدت وحدرت ، لاتثر فيه على حجارة للبناء كما تثر في سائر الديار ، وعليه فالعثور على آجر هو اليك اقرب من حبل الوريد يعد بمنزلة العثور على كنز دفين ، اوعاق ثمين ولذلك جميع عمائر هذه الديار من قديمة وحديثة مبنية كلها بالاجر الذي يسميه العراقيون « الطابوق اوالطابق » بتفخيم الالف الثانية . ويدخل في تلك الابنية مع الطابوق الخشب باقدار وافرة وفي بعض الاحايين لاترى آجراً في تلك المشيدات ، بل لبناً لندرة الوقود في هذه البلاد ولغلاء اسعار الخشب . فيتخذ حينئذ الوطنيون الشمس بمنزلة الوقود . لكن لما كان اللبن لايصبر على طوارئ الجو صبر الآجر فتبور الابنية في زمن وجيز . هذا فضلاً عن ان البناء باللبن لايستعمله الا المتحضرة من الاعراب المجاورة للمدن او المنبثة في ارباضها وارجائها . واما المنازل القوراء ، والقصور الفيحاء ، والابنية الشاهقة ، والمعاهد المعمورية العالية ، فلا تشاد الا بالطابق الحسن المتخذ من صلصال ارض بغداد والمشوى في مواقد منتشرة في حوالي الحواضر والقرى . ومما لاينكر ان مايشوى اليوم من الاجر هو دون ماكان يشوى سابقا اذ من جهة الشيء ، وان من جهة الصلابة والصبر على مساوئ الزمان وفتكاته ومما يفوق آجر جميع هذه الديار هو طابق

بابل لان الاقدمين كانوا قد جادوا عن بدنية ليكون لهم معدات من احسن معدات البناء ولهذا لما اراد سلوقوس بناء مدينته المسماة باسمه (اى سلوقية Séleucie) على عدوة دجلة نقل كنانة وسعه لينقل معدات بابل الجليلة الى مدينته الجديدة ، فنجح كما نجح فى نقل اهاليها ايضا الى حاضرته هذه .

واما الوسائط التى اتخذت لنقل تلك الانقاض فكانت فى ذلك العهد كما هى اليوم والسفن من النوع المالوف الذى نشاهده وهى مصنوعة صنعاً بدون احكام ولا هندام ، ومقيرة من الخارج بدون اتقان وهى تجتاز انحداراً ماسية الاشرعة وسائرة سيراً منشأ متبعة جرى الماء ، واذا اريد اصعادها جرها الرجال بالقلوس والحبال المتينة جراً يزهق الارواح ، على حد مايرى اليوم بدون ادنى تغيير . ولما كان هذا النقل لايكلف مبالغ باهظة استسهله الاقدمون والمحدثون وجروا عليه جرياً مطرداً ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

هذا ولو لا وقوف بعض العقبات فى وجه المخربين لما بقى اليوم فى ديار العراق حجر من حجارة الاقدمين وبعض هذه العقاب فراغ ايديهم من معاول وآلات هادمة تذعف الابنية من اساسها ولهذا افلت من ايديهم ما افلت ، وما ذلك الا لان ربك اراد ان يثبت لك حقائق كنت تنكرها كل الانكار ، لو لم تقع على آثارها اليوم ، تلك الآثار الناطقة بسابق وجودها .

قصر بخت نصر

لقد حان لنا الآن ان ننظر الى ما بقى من قصر نبوكدر اصر (بخت